أشهر الكتب المؤلَّفة فى التفسير بالرأى

١ - تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم .

٢ - تفسير أبى على الجبائى .

٣ - تفسير عبد الجبار .

٤ - تفسير الزمخشرى « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل » .

٥ - تفسير فخر الدين الرازى « مفاتيح الغيب » .

٦ - تفسير ابن فورك .

٧ - تفسير النسفى « مدارك التنزيل وحقائق التأويل » .

٨ - تفسير الخازن « لُباب التأويل فى معانى التنزيل » .

٩ - تفسير أبى حيان « البحر المحيط » .

١٠ - تفسير البيضاوى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » .

١١ - تفسير الجلالين : جلال الدين المحلى ، وجلال الدين السيوطى .

أما جلال الدين المحلى ، فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة ، وبعد أن أتمها اختارته المنية فلم يُفسِّر ما بعدها .

وأما جلال الدين السيوطى ، فقد جاء بعد الجلال المحلى فكمَّل تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة وانتهى عند آخر سورة الإسراء ، ووضع تفسير الفاتحة فى آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به .

وكثيرًا ما يخطئ بعض الناس فى هذا التقسيم .

١٢ - تفسير القرطبى « الجامع لأحكام القرآن » .

١٣ - تفسير أبى السعود « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » .

١٤ - تفسير الآلوسى « روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى » .

وسنعرِّف ببعض منها :

١ - مفاتيح الغيب - للرازى

فخر الدين الرازى من العلماء المتبحرين الذين نبغوا فى العلوم النقلية والعلوم العقلية ، واكتسب شهرة عظيمة طوَّفت به فى الآفاق ، وله مصنفات كثيرة ، ومن أهم مصنفاته تفسيره الكبير ، المسمى بـ « مفاتيح الغيب » .

ويقع هذا التفسير فى ثمانى مجلدات كبار ، وتدل الأقوال على أن الفخر الرازى لم يتمه ، وتتضارب الآراء فى الموضع الذى انتهى إليه فى تفسيره ، وفيمن أتمه بعده ، ويُعَلِّق على هذا الشيخ محمد الذهبى فيقول : « والذى أستطيع أن أقوله كحل لهذا الاضطراب ، هو أن الإمام فخر الدين كتب تفسيره هذا إلى سورة الأنبياء ، فأتى بعده شهاب الدين الخوبى فشرع فى تكملة هذا التفسير ولكنه لم يتمه ، فأتى بعده نجم الدين القمولى فأكمل ما بقى منه ، كما يجوز أن يكون الخوبى أكمله إلى النهاية ، والقمولى كتب تكملة أخرى غير التى كتبها الخوبى ، وهذا هو الظاهر من عبارة صاحب كشف الظنون » [(١)] .

والقارئ لهذا التفسير لا يجد تفاوتًا فى المنهج والمسلك ، ولا يستطيع أن يُميِّز بين الأصل والتكملة .

ويهتم الفخر الرازى ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره ، ويُكثر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والفلسفية ومباحث الإلهيات على نمط استدلالات الفلاسفة العقلية ، ويذكر مذاهب الفقهاء ، ومعظم ذلك لا حاجة إليه فى علم التفسير .

فكتابه موسوعة علمية فى علم الكلام ، وفى علوم الكون والطبيعة ، وبهذا فقد اهميته كتفسير للقرآن الكريم .

* * *

٢ - البحر المحيط - لأبى حيَّان

كان أبو حيان الأندلسى الغرناطى على جانب كبير من المعرفة باللُّغة ، وكان على

---

(١) « التفسير والمفسرون » (١/ ٢٩٣) .

علم واسع فى التفسير ، والحديث ، وتراجم الرجال ، ومعرفة طبقاتهم ، خصوصًا المغاربة ، وله مؤلفات كثيرة ، أهمها تفسيره « البحر المحيط » .

ويقع هذا التفسير فى ثمانى مجلدات كبار ، وهو مطبوع متداول ، ويهتم أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب ، ومسائل النحو ، ويتوسَّع فى هذا فيذكر الخلاف بين النحويين ، ويناقش ويجادل ، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

وينقل أبو حيان فى تفسيره كثيرًا من تفسير الزمخشرى وتفسير ابن عطية ، ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب ، ويتعقبها كثيرًا بالرد .

ويحمل على الزمخشرى أحيانًا حملات قاسية ، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة فى تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه .

ولا يرضى أبو حيَّان عن اعتزاليات الزمخشرى فينقدها ويردها بأسلوب ساخر ، ويعتمد فى أكثر نقوله على كتاب « التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير » وهو لشيخه : جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان المقدسى المعروف بابن النقيب ، ويذكر أبو حيَّان عنه أنه أكبر كتاب صُنِّفَ فى علم التفسير ، يبلغ فى العدد مائة سِفر أو يكاد .

* * *

٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل - للزمخشرى

كان الزمخشرى عالمًا عبقريًا فذا فى النحو واللُّغة والأدب والتفسير ، وآراؤه فى العربية يستشهد علماء اللُّغة بها لأصالتها ودقتها .

والزمخشرى معتزلى الاعتقاد ، حنفى المذهب ، ألَّف كتاب « الكشاف » بما يدعم عقيدته ومذهبه .

واعتزاليات الزمخشرى فى تفسيره أمارة على حذقه ودهائه ومهارته ، فهو يأتى بالإشارات البعيدة ليضمنها معنى الآية فى الانتصار للمعتزلة والرد على خصومهم ، ولكنه فى الجانب اللُّغوى كشف عن جمال القرآن وسحر بلاغته لما له من إحاطة

بعلوم البلاغة والبيان والأدب والنحو والتصريف ، فكان مرجعًا لُغويًا غنيًا ، وهو يشير فى مقدمته إلى هذا فيذكر أن مَن يتصدى للتفسير لا يغوص على شىء من حقائقه ، إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما « علم المعانى » ، و« علم البيان » ، وتمهل فى ارتيادهما آونة ، وتعب فى التنقيب عنها أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانها همة فى معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذًا من سائر العلوم بحظ ، جامعًا بين أمرين : تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، قد رجع زمانًا ورجع إليه ، ورد عليه ، فارسًا فى علم الإعراب ، مقدمًا فى حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مستقل القريحة وقَّادها » .

ويحلل ابن خلدون كتاب الكشاف للزمخشرى فى قوله عند الحديث عما يرجع إليه التفسير من معرفة اللُّغة والإعراب والبلاغة : « ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير ، كتاب الكشاف للزمخشرى ، من أهل خوارزم العراق ، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد ، فيأتى بالحِجاج على مذاهبهم الفاسدة ، حيث تعرض له فى آى القرآن من طريق البلاغة ، فصار بذلك للمحققين من أهل السُّنَّة انحراف عنه ، وتحذير للجمهور من مكامنه ، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللِّسان والبلاغة ، وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السُّنِيَّة ، محسنًا للحِجاج عنها ، فلا جَرَم أنه مأمون من غوائله ، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللِّسان ، ولقد وصل إلينا فى هذه العصور تأليف لبعض العراقيين ، وهو شرف الدين الطيبى من أهل توريز من عراق العجم ، شرح فيه كتاب الزمخشرى هذا ، وتتبع ألفاظه ، وتعرض لمذاهبه فى الاعتزال بأدلة تزيفها ، وتبيِّن أن البلاغة إنما تقع فى الآية على ما يراه أهل السُّنَّة ، لا على ما يراه المعتزلة ، فأحسن فى ذلك ما شاء ، مع امتاعه فى سائر فنون البلاغة ، وفوق كل ذى علم عليم »[1] .

* * *

(١) مقدمة ابن خلدون (ص٤٩١) .